عَظَمَةُ القُرآن

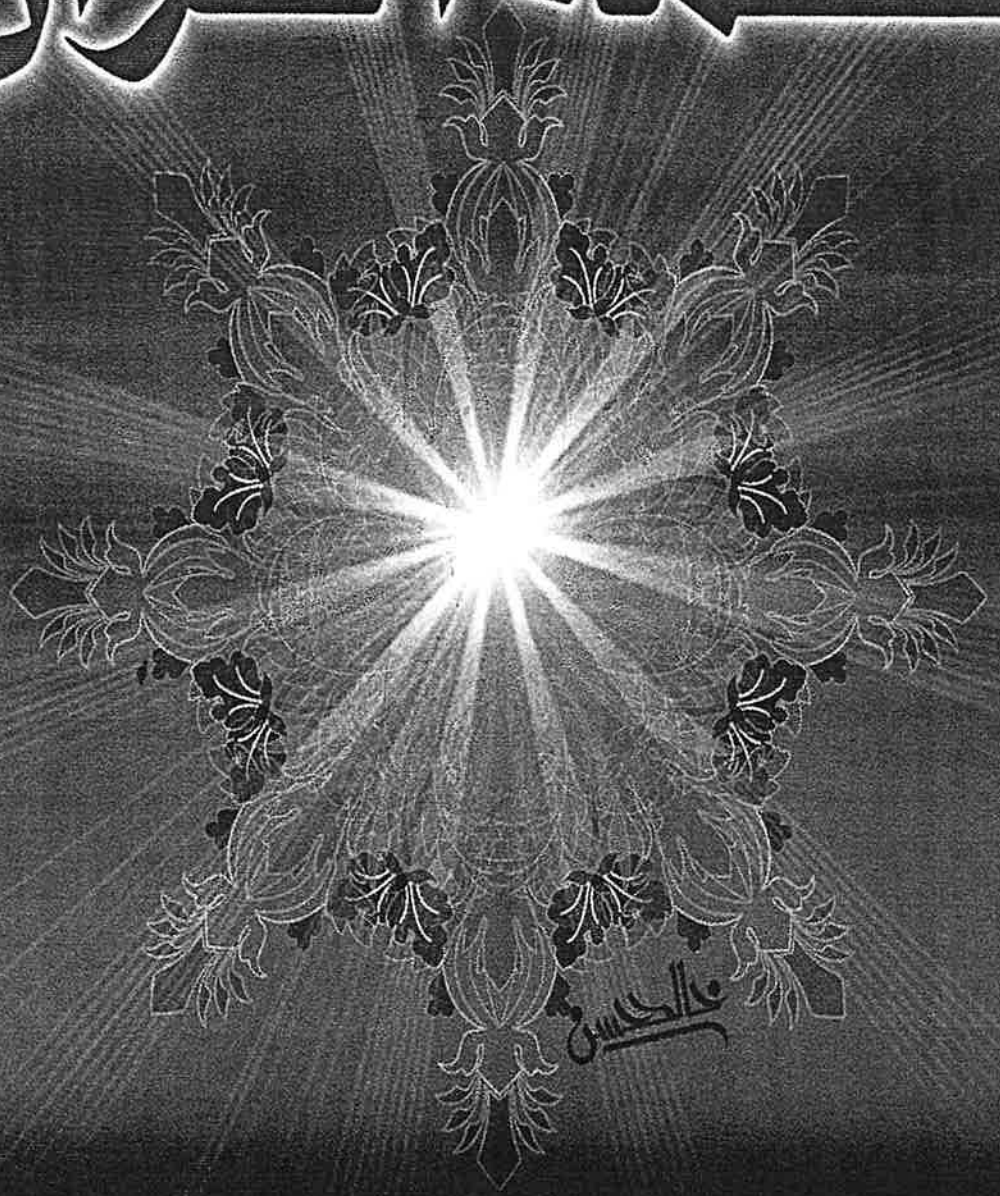

إعداد الدكتور

سليمان بن محمد الصغير

دار ابن الأثير

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عظمة القرآن

إعداد
د. سليمان بن محمد الصغيِّر

رحمه الله رحمة واسعة

دار ابن الأثير

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولي
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار ابن الأثير

المملكة العربية السعودية - ص.ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٣٥٦
هاتف ٤٢٨٥٣٩٠ فاكس ٢٦٧٢٥٥٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

فهذا طرح جديد لقضايا علمية منتقاة بعناية جمعت وأعدت من عشرات أمهات المصادر الأصلية ونتائج بحوث ودراسات وتجارب علمية حديثة تتعلق بـ (عظمة القرآن وإعجازه) وهو موضوع تعد أهميته ومنزلته من المُسَلَّمَات لدى كل مسلم وتخلو ـ أو تكاد ـ منها الساحة الإعلامية والأوساط الثقافية والدعوية مجموعها ثلاثون حلقة (موضوعاً)، كل موضوع مستقل بذاته تجتمع تحت سقف واحد وهو (عظمة القرآن)، ويضم كل منها جانباً يكشف سرًّا من أسرار عظمة القرآن وإعجازه، تتصف جميعاً بسهولة العبارة والأسلوب الجامع بين الأدبي والعلمي وظهور الفائدة وتناسب الحجم، تخاطب شرائح المجتمع المختلفة وتستهدف ملءَ فراغ تعيشه الكثرة من أبناء المجتمعات الإسلامية والعربية، وتجيب عن تساؤلات كثيرة وهامة وحساسة لديهم وغالباً ما يحتفظون بها في أنفسهم؛ إما لصعوبة صوغها بالأسلوب المعبِّر بوضوح عمَّا في خواطرهم، وإما لندرة وجود مَنْ يقصدونه ويتوقعونه أهلاً لفقه حالهم وإقناعهم.. ومن أمثلة التساؤلات التي تجيب عنها هذه الحلقات وتتردد لديهم ويرددها لسان حالهم:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(إنني لا أشعر بعظمة القرآن وإعجازه كما يقولون بالرغم من تكرر تلاوتي له؟). (أنا مؤمن بوجود عظمة القرآن وأنه معجز. ولكن؟). (كيف أصل إلى الشعور والإحساس به؟). (هل الأحرف السبعة هي القراءات السبع؟ بحثت طويلاً دون أن أصل إلى إجابة شافية بالرغم من تواتر الحديث عنه ﷺ بذلك!). (كيف أدرك الإعجاز البليغ الذي ثبت وجوده؟) (سمعت أن [الصلوات] ذُكرت (٥) مرات في القرآن، و[اليوم] (٣٦٥) مرة بعدد أيام السنة، و[الأيام] (١٢) مرة بعدد الأشهر. هل هذا صحيح؟). (ولماذا قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ ولم يقل: ثلاثمائة سنة وتسع؟!). (وكيف أفهم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ...﴾ وأنا أجد صعوبة بالغة في تجويده وفهمه و... إلخ). (لماذا يختلف ترتيب السور في المصحف عن ترتيبها بالنزول؟) (كيف يؤثر القرآن في تنشيط وظائف المناعة للجسم). (كيف حوّل القرآن السجون والمعتقلات إلى دور للإصلاح والتأهيل الاجتماعي؟). إلى آخر تساؤلات عديدة يحاول هذا الطرح أن يجيب عليها بقالب جديد، معزّزاً بالأدلة والأمثلة والحقائق العلمية بعيداً عن التوقعات والنظريات الظنية والآراء التي لا تستند إلى ما يدعمها ويؤكدها.

كتبهـــا

سـليمان بن محمـد الصغـيِّر

فاكس ٤٧٩٢٦٦٩ - بريد إلكتروني alsoqir@yahoo.com

جوال ٠٥٣٢١٠٣٧٢ ص.ب ٧٨٦٨ الرياض ١١٤٧٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١

سنة الله في معجزات الأنبياء عليهم السلام

خلق الله الإنسان، وسخَّر له ما في الأرض جميعاً، ذلك لِمَا ميَّزه الله به من عقل وما جمع فيه من الخصائص وقوة التفكير، ومع ما وهب الله هذا الإنسان إلا أنه مخلوق ضعيف أودع الله فيه كثيراً من النزعات والغرائز التي تؤثر في اتجاهاته، وهذه النزعات والغرائز قد تطغى على سلطان العقل ولا يستطيع العقل أن يكبح جماحها في كل حال، لهذا فالإنسان بحاجة إلى مَن يقوده إلى معالم الهدىٰ ويمده بقبس من الوحي ليسلك دروب الحياة على بيِّنة وبصيرة، وذلك أن الإنسان يحتاج إلى غذائين مختلفين؛ لأنه مركَّب من جسم وروح، وحيث إن الجسم مادي فهو يتغذَّى بالماديات من الطعام والشراب الذي يسهل على الإنسان الحصول عليه.. وأما الروح فإن الله تعالى أعانها على تحصيل غذائها وقرَّبه إليها، وذلك بإرسال الرسل لتهدي إليه ووهب العقول تؤمن به.. ومع ذلك قلَّما يخضع الإنسان لقرينه من بني الإنسان ما لم يأت له بما لا يستطيع، فكان رسل الله الذين يتنزل عليهم الوحي، ويؤيدهم الله بخوارق العادات التي تقيم الحجة على الناس فيعترفون بالعجز ويدينون بالولاء والطاعة.

وقد كانت سُنَّة الله في المعجزات أن تكون من بيئة القوم الذين يرسل الرسول إليهم، ومن جنس ما برع فيه قومه وتفوقوا فيه واشتهروا به لتتلائم مع مستواهم الفكري وتكون أقوى حجة وأظهر برهاناً وأصدق دليلاً.. وحين نتأمل معجزات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأنبياء السابقين عليهم السلام يتضح ذلك، فمثلاً:

* الأنبياء الذين عاشوا في البلاد العربية كانت معجزاتهم مناسبة لبيئة العرب الصحراوية فمعجزة صالح ـ عليه السلام ـ كانت ناقة غريبة المنشأ والمولد من نوق أهل البداية.

* كان السحر عند المصريين زمن فرعون منتشراً انتشاراً كبيراً بين عامتهم وخاصتهم، استرهبهم به فرعون وجنوده، فأيَّد الله موسى ـ عليه السلام ـ بمعجزات من جنس المشهور في قومه، فمن معجزاته (العصا)، و(اليد)، فهي تشبه السحر فكلاهما تحويل من حال إلى حال، إلا أن السحر من حقيقة إلى خيال، وأما المعجزة فمن حقيقة إلى حقيقة... وهكذا.

* ولمَّا اشتهر الطب والفلسفة المبنية على الأسباب بين قوم عيسى ـ عليه السلام ـ جاءت معجزاته من جنس ما اشتهر في هذا العصر، وأول معجزة له كانت ولادته التي جاءت مبطلة لهذه النظرية.. ثم تَحَدَّثَ في المهد، ثم إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله.

وقد كان العقل البشري في أطوار نموه الأولى لا يرى شيئاً يبهره أقوى من المعجزات الكونية الحسيَّة، حيث لم يصل إلى النمو في المعرفة والتفكير فناسب أن يبعث كل رسول إلى قومه خاصة، وأن تكون معجزته فيما نبغ فيه قومه وما اشتهروا به خارقة لما ألفوه ليتحقق عجزهم عنها وإيمانهم بأنها من تأييد الله كما رأيت في معجزة موسى عليهما السلام، فلما أوشك عهد بعثة الرسول ﷺ دخل العقل الإنساني مرحلة اكتماله، وأخذت الأُمم تسير قدماً في النضج الفكري.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢

تميزه عن باقي المعجزات

بلغت الفصاحة والبلاغة وفنون القول شأواً عظيماً، وأخذت الكلمة مكانها في نفوس العرب من التقديس والتعظيم لم يبلغه شيء آخر، مما جعلهم يعلقون المعلقات السبع في جوف الكعبة أقدس مكان عندهم في جاهليتهم، فكانت القصيدة وحدها كفيلة بإنزال القبيلة إلى الحضيض أو رفعها إلى مكانة سامية.. فعقدوا للكلمة أسواقاً يعرضون فيها القصائد ومع ذلك كان مجتمع العرب مجتمعاً جاهلياً في جوانب الحياة المختلفة كالسياسة والاقتصاد والاجتماع.

وحين أراد الله بهذه الأمة خيراً اقتضت حكمته تعالى في اختيار المعجزة من جنس ما اشتهر بين القوم، لأن الإنسان إذا أُتيَ من قبل ما يفخر به ومجال إجادته واعتزازه تكون الحجة عليه أقوى.. ولتكون معجزة النبي الخاتم ﷺ أشد لمعاناً وأسطع برهاناً فقد جعلها الله تعالى كتاباً متلواً معجزاً وهو الإنسان الأمي الذي لم يخط بيده كتاباً أو يتلق من أحد من البشرية معرفة.

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى معجزة الرسول ﷺ من نوع خاص إلى جانب تحقيق سنته في معجزات الأنبياء، جعلها (القرآن الكريم) لتواءم طبيعة النبي ﷺ المرسل إلى الناس كافة، ولأنه تعالى أراد لها أن تكون المعجزة الخالدة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهكذا كتب الله لمعجزة الإسلام الخلود، ووقف الإنسان عاجزاً عن معارضتها مع طول الزمن وتقدم العلم، ويتضح من ذلك أن القرآن الكريم يتميز عن باقي المعجزات بأنه:

* معجزة عقلية معنوية في حين أن باقي المعجزات حسية كونية.
* معجزة خالدة إلى الناس كافة وباقي معجزات الأنبياء إلى أقوامهم خاصة.

فالسر في جعل معجزة خاتم الرسل الأساسية عقلية يرجع إلى أمور منها:

- إن العقل البشري في العصور التي سبقت بالبعثة المحمدية كان أقرب إلى التطورات الحسية منه إلى المدارك العقلية، ثم بدأ يسير في طريق الكمال الفكري فحق أن تكون المعجزة أقرب إلى الفكر منها إلى الحس.

- كانت الشرائع السابقة خاصة بأمة من الأمم وزمن من الأزمنة فلا داعي لبقاء معجزاتها بعد انتهاء أمدها، ونزلت الشريعة الإسلامية متصفة بعموم الرسالة وعالميتها وتكليف البشرية بها في كل مكان وزمان، فناسب جعل معجزتها عقلية لتظل قائمة خالدة، بارزة الإعجاز متحدية العقول، قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[الحجرات: ١-٣].

فمعجزات الأنبياء السابقين انقرضت لكونها حسية بانقراض عصورهم وأزمانهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن الكريم ممتدة عبر الزمان تتحدى البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣

فضله على العرب

لقد انتقل القرآن بالعرب من أمة في غاية التخلُّف والجهل والسوء إلى أُمة في أعلى درجات الكمال، حيث جمع شتاتهم ووحَّد صفوفهم وضمن عزتهم وسيادتهم وكرامتهم فأصبحوا إخوة متحابين، وتكوَّنت منهم نواة الدولة العربية الإسلامية بإشراف رسول الله ﷺ وزعامته. وحملوا رسالة الخير والمدنية والسلام إلى مختلف أنحاء العالم، وقضوا على معقل الشر والفساد المتمثل في دولتي الفرس والروم، وانفتحت لهم قلوب العباد قبل البلاد فكوَّنوا دولة تمتد من جبال الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً. وما كان ذلك ليتم لولا المبادئ المنزلة من الله الحكيم.

وللقرآن أكبر الفضل على العرب! فقد حفظ كيانهم ووجودهم لحفظه لغتهم رغم ما أصابهم من محن ومصائب ونكبات بعيدة. كادت تعرضهم للاضمحلال، من ذلك غزو التتار وهجمات الصليبيين وغيرهم.. هذه النوازل كافية لإزالة أقوى الأُمم. ولولا تفضل الله على العرب بالقرآن الكريم لباد العرب كما بادت أمم من قبلهم.

وفضلاً عن ذلك فإن القرآن وحَّد لهجات العرب وجمعهم على لهجة واحدة. مما كان سبباً في وحدتهم لأن وحدة اللغة من أهم عوامل الوحدة. ولولا القرآن لأصاب التطور هذه اللهجات وأصبحت لغات قائمة بذاتها، وفقدت صلتها بتراثها القديم. ولتمزقت الأمة العربية بتمزق لغتها إلى لغات. كما حدث في لغات أخرى وتفرق أهلها إلى شعوب.

والقرآن الكريم مد سلطان العربية إلى منطقة من أوسع مناطق الدنيا. آسيا وأفريقيا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأوربا (الأندلس) فأصبحت اللغة العربية لغة الحضارة والمدنية وأصبح كل مسلم يشعر أن العربية لغته لأن القرآن قد نزل بها.

فالقرآن الكريم إذاً هو أعظم وسيلة لتعريب الشعوب الأعجمية. ولنشر أفكار المسلمين وثقافتهم بين مئات الملايين من الناس غير العرب.

واللغة تتطور كما تتطور المجتمعات. تولد فيها كلمات وتعابير وتموت فيها أخر. وبذلك تبتعد اللغة الجديدة عن اللغة القديمة وتفقد اللغة الصلة بتراثها القديم. وهذا ما تجده في كل لغات العالم. فمن أراد أن يطلع على ما كتبه الشاعر الإنكليزي (شكسبير) مثلاً يحتاج إلى ترجمة اللغة الإنكليزية الحاضرة غير تلك القديمة بسبب التطور الذي أصابها. بينما نجد اللغة العربية ثابتة وباقية على مر الأيام بفضل القرآن الكريم. فأنت اليوم تقرأ أشعار العرب في الجاهلية وأقوالهم كما كانوا يقرؤونها. وبذلك حفظ القرآن الصلة بين العرب وتراثهم القديم، صلة من أقوى ما عرفه التاريخ بين شعب وتراثه.

لقد حمل القرآن الكريم للعرب البشرى بالهداية والنور. فاحتضنوا الإسلام ورعوه وأمدوه بأسباب القوة. حتى صلب عوده وشعروا أنهم حماته والمدافعون عنه. وأن العقل والمنطق يقضيان بأن يجند العرب أنفسهم في خدمة القرآن ليبلغوا به أعلى المراتب ومن أولى منهم بذلك؟ ولغته لغتهم، وتاريخه تاريخهم، وعزه عزهم، هم حملوه أولاً فأبلغوه الآفاق فعزوا به واحتلوا مواقع القيادة، فقادوا العالم فكراً وحكماً.

وتتجلى هذه المسؤولية في الوقت الحاضر حيث يهدد البشرية بلاء مريع من طغيان الاستغلال والشر ومحاولة سحق الشعوب الفقيرة الضعيفة والقضاء عليها. وإن العرب والمسلمين مدعوون في الوقت الحاضر أن ينقذوا العالم بقرآنهم من تكالب الكتل المادية المتصارعة لاستذلاله ونهب خيراته. كما أنقذوه بالأمس من سيطرة الإمبراطوريات الطبقية. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٤].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤

لغته وأسلوبه ونظمه

هذا من أعظم أسرار القرآن وإعجازه، فلقد مارس أهل العربية فنونها منذ نشأت لغتهم حتى شبت وترعرت، واستظهروا شعرها ونثرها، وحكمها وأمثالها وطاوعهم البيان في أساليب ساحرة، حقيقة ومجازاً، إيجازاً وإطناباً، حديثاً ومقالاً، وكلما ارتفعت اللغة وتسامت وقفت أمام لغة القرآن في إعجازه اللغوي كسيرة صاغرة، وما عهد تاريخ العربية حقبة من أحقاب التاريخ ازدهرت فيها اللغة إلا وتطامن أعلامها وأساتذتها أمام البيان القرآني، اعترافاً لسموه، وإدراكاً لأسراره، ولا عجب «فتلك سنة الله في آياته، لا يزيدك العلم بها والوقوف على أسرارها إلا إذعاناً لعظمتها، وثقة بالعجز عنها».

وقد بلغت العربية أشدها وتوافرت لها عناصر الكمال والتهذيب في المجامع العربية وأسواقها، ووقف القرآن من أصحاب هذه اللغة موقف التحدي في صور شتى، متنزلاً إلى الأخف من عشر سور إلى سورة إلى حديثه مثله، فما استطاع أحد أن يباريه أو يجاريه منهم، ولو وجدوا قدرة على محاكاة شيء منه، أو وجدوا ثغرة فيه، لما ركبوا المركب الصعب وأظهروا التحدي، بإشهار السيوف.

وتتابعت القرون لدى أهل العربية، وظل الإعجاز اللغوي في القرآن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

راسخاً كالطود الشامخ، تذل أمامه الأعناق خاضعة، وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن الكريم وجد أسراراً من الإعجاز اللغوي كثيرة منها:

(أ) ألفاظه التي تفي كل معنى في موضعه، جاء القرآن في نظم فريد متميز. إذا قرأت القرآن وجدت الإبداع ظاهراً في احتوائه أفصح الألفاظ الرائعة المعبرة التي يتلقاها السمع أحسن قبول، وهذا ما شهد به أجل علماء اللغة أن ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب، وكل كلمة منه تقع موقعها في الجملة بحيث لا تغني عنها كلمة أخرى. تأمل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ . . . ﴾ فإن كلمة اثاقلتم تنبئ عن الغاية المرادة بحيث لا يمكن استبدال غيرها بها لأداء المطلوب.

(ب) نظامه الصوتي البديع، فلا تمل منه الأسماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد. فخالف كل أنماط النظم المعهودة في كلام العرب وغيرهم، فهو ذو اتساق عجيب وائتلاف رائع، وإيقاع أخاذ يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس، لا يقاربه في ذلك كلام آخر من نظم أو نثر. انظر قوله تعالى في وصف كل من الليل والصبح: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ [التكوير: ١٧، ١٨]. ألا تشعر أن الكلمة تبعث في خيالك المعنى محسوساً مجسماً دون حاجة إلى قاموس اللغة؟ وهل في مقدورك أن تصور إقبال ظلام الليل وتمدده في الآفاق بكلمة أدل من عسعس، أو تصور انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من تنفس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥

مقارنة بلاغية

لنتأمل سوياً هذا المثال في جزء من آية ولنقارنها بعبارة في معناها وردت عن العرب تعد من الأمثال الباقية تقول الآية: ﴿فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ ويقول المثل: (القتل أنفى للقتل)، وقد أبرز علماء البلاغة أن العبارة القرآنية التي هي جزء من آية تفوق في بلاغتها على الثانية بأكثر من عشرين وجهاً! منها:

١ ـ أن الآية ﴿فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أقل حروفاً من المثل فإن حروفها اثنا عشر بينما حروف (القتل أنفى للقتل) أربعة عشر حرفاً.

٢ ـ إن تنكير (حياة) يفيد تعظيماً فدلت على أن القصاص حياة طويلة، ولا كذلك في المثل فإن اللام فيه للجنس، ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء.

٣ ـ أن المثل لم يحط بالمعنى أي أنه ليس كل قتل أنفى للقتل، بل قد يكون أدعى كالقتل ظلماً أما القصاص ففيه حياة أبداً.

٤ ـ أن الآية ليس فيها تكرار لفظ كلفظ القتل الواقع في المثل ومعلوم أن الخالي من التكرار أفضل.

٥ ـ أن المثل يحتاج إلى إتمام معناه بتقدير محذوفات هي (من) التي بعد أفعل التفضيل وما بعدها و(قصاصاً) مع القتل الأول و(ظلماً) مع القتل الثاني فتقدير المثل هو (القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه) أما الآية فهي مستغنية عن تقدير أي محذوف.

٦ ـ في الآية طباق معنوي بين (قصاص) المشعر بضد (الحياة) بخلاف المثل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧ ـ اشتمال الآية على فن بديع وهو جعل أحد الضدّين مكاناً بضده فالفناء والموت محلاً للحياة.

٨ ـ في المثل توالي أسباب كبيرة خفيفة وهو السكون مع الحركة وذلك مستكره لأن اللفظ المنطوق المتوالي الحركات يتمكن اللسان من النطق به وتظهر فصاحته بخلاف ما في المثل.

٩ ـ في المثل شبه تناقض من حيث الظاهر؛ لأن الشيء لا ينفي نفسه.

١٠ ـ سلامة الآية من تكرار قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها عن غنة النون.

١١ ـ حروف الآية متلائمة ففيها خروج عن القاف إلى الصاد فكلاهما من حروف الاستعلاء بخلاف الخروج من القاف إلى التاء؛ لأن حرف التاء منخفض غير ملائم للقاف، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أفضل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعدها دون طرف اللسان.

١٢ ـ في النطق بالصاد والحاء والقاف حسن الصوت ولا كذلك في المثل.

١٣ ـ في المثل لفظ القتل المشعر بالوحشة بخلاف لفظ الحياة فإن الطباع أقبل له.

١٤ ـ القصاص يشعر بالمساواة والعدل بخلاف مطلق القتل.

١٥ ـ الآية مثبتة والمثل منفي والإثبات أشرف لأنه أولى والنفي ثان عنه.

١٦ ـ إن المثل لا يفهم إلا بعد فهم الآية أي فهم أن القصاص هو الحياة والآية مفهومها من أول وهلة.

١٧ ـ إن الآية شاملة في الردع عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص وكذا في الحياة ولا كذلك في المثل.

١٨ ـ في المثل بناء أفعل التفضيل مع فعل متعد والآية سالمة منه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦

إقناعه وإمتاعه في آن

ضروب الخطاب التي تتقارب فيها أصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧]، ومعناه أن القرآن الكريم إذا قرأته على العامة أو قرئ عليهم، أحسوا جلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، وكذلك الخاصة إذا قرءوه أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته، وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة، ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام لا في إشراق ديباجته ولا في امتلائه وثروته، ولا كذلك كلام البشر فإنه إن أرضى الخاصة والأذكياء، لجنوحه إلى التجوز والأغراب والإشارة، لم يرض العامة لأنهم لا يفهمونه وإن أرضى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة، لم يرض الخاصة لنزوله إلى مستوى ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم.

وفي الوقت نفسه تجد أن القرآن وحده هو الذي يرضي العقل والعاطفة، فهو يقنع العقل ويمتع العاطفة في آن واحد بما يفي بحاجة النفس البشرية، ومعنى هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معاً ويجمع الحق والجمال معاً. انظر إليه مثلاً وهو في معرض الاستدلال العقلي على البعث

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والإعادة في مواجهة منكريها، كيف يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب هزًّا، ويمتع العاطفة إمتاعاً، بما جاء في طي هذه الأدلة المسكتة المقنعة، إذ قال الله سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩]، وإذ قال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٦ ـ ١١].

تأمَّل في هذا الأسلوب البارع، الذي أقنع العقل وأمتع العاطفة في آن واحد، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل، إذ قال في الآية الأولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ﴾ وفي الآيات الأخيرة: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ يا للجمال الساحر، ويا للإعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات، في هذه الكلمات المعدودات!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧

تصويره وتشخيصه الحي

القرآن يعبر بالصورة الحسية عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة والحركة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. أما الحوادث والقصص والمشاهد فيجعلها ماثلة حاضرة فيها الحياة والحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد اكتملت فيها جميع عناصر التخييل.

تأمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

تُصَوِّرُ هاتان الآيتان مشهداً من مشاهد يوم القيامة يوم الفزع الأكبر. مشهداً فريداً مليئاً بالرعب والخزي والرهبة والاستسلام. فالعيون محملقة مفتحة أجفانها لا تتحرك، والظالمون مهطعون مسرعون في مشيتهم بذلة واستكانة وهم رافعوا رؤوسهم لتصلب أجسادهم وتخشبها، وقلوبهم فارغة يطير بها الفزع وتستبد بها الحيرة.

كذلك يصور الله الحالات النفسية في صورة حسية، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وكذلك صورة المؤمن المتزعزع كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ﴾ [الحج: ١١].

وكذلك تصوير الأحداث في صورة حسية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١٣].

وفي القرآن الكريم أكثر من ستة آلاف وستمائة آية نزلت في ثلاث وعشرين سنة، طرقت موضوعات متعددة اعتقادية وخلقية وتشريعية، وقررت حقائق كثيرة كونية واجتماعية ووجدانية، اتسقت معانيها ـ كما اتسقت عباراتها ـ فلا تجد معنى يعارض معنى أو حكماً يناقض حكماً أو مبدأ يهدم مبدأ أو غرضاً لا ينفق غرض آخر. ولو كان صادراً من عند غير الله ـ أفراداً وجماعات ـ لما سلم من اختلاف بعض معانيه؛ لأن العقل البشري مهما نضج وكمل لا يمكنه أن يؤلف مثل هذا الكتاب العظيم الشامل في ثلاث وعشرين سنة، ثم لا يتعارض آية مع آية أخرى فيما اشتملت عليه، كما لا تختلف آية عن أخرى في مستوى بلاغتها وروعة أسلوبها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨

سمو تشريعه وشموله

اشتمل القرآن على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم المعاشية ولم يدع جانباً من جوانب الحياة، فكانت تشريعاً متكاملاً. وقد أودع الله في الإنسان كثيراً من الغرائز التي تعتمل في النفس وتؤثر عليها، ولئن كان العقل الرشيد يعصم صاحبه من الزلل فإن النزعات النفسية المنحرفة قد تطغى على سلطان العقل، لهذا كان لابد لاستقامة الإنسان من تربية خاصة لغرائزه، تهذبها وتقودها إلى الخير والفلاح والإنسان مدني بالطبع، فهو في حاجة إلى غيره، وغيره في حاجة إليه وكثيراً ما يظلم الإنسان أخاه بدافع الأثرة وحب السيطرة، ولذا كان لابد لأي مجتمع بشري من نظام يحكم زمامه، ويحقق العدل بين أفراده.

وبين تربية الفرد وصلاح الجماعة وشائج قوية، فصلاح الفرد من صلاح الجماعة، وصلاح الجماعة بصلاح الفرد. وقد عرفت البشرية في عصور التاريخ ألواناً مختلفة من التشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل، ولكن واحداً منها لم يبلغ من الروعة والحكمة مبلغ القرآن الكريم في إعجازه التشريعي.

* إن القرآن يبدأ بتربية الفرد، لأنه لبنة المجتمع، ويقيم تربيته على تحرير وجدانه بعقيدة التوحيد الخالصة لله تعالى وحده، وتحمله للتبعية. وهذا أكمل عقيدة في العقل، وأكمل عقيدة في الدين.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وإذا صحَّت عقيدة المسلم كان عليه أن يأخذ بشرائع القرآن في الفرائض والعبادات فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والجماعة واجبة على الرأي الراجح إلا لعذر، وهي شرط في الجمعة والعيدين، والذي يصلي منفرداً لا يغيب عن شعوره آصرة القربى بينه وبين الجماعة الإسلامية في أقطار الأرض كلها.

والزكاة تقتلع من النفس جذور الشح. وعبادة المال، والحرص على الدنيا، بتكافل الجماعة شعوراً يخرجها من ضيق الأثرة والانفراد، والحج سياحة تروض النفس على المشقة، وتفتح بصيرتها على بديع صنع الله في خلقه. والصيام ضبط للنفس، وحبس للشهوات، ومظهر اجتماعي يعيش فيه المسلمون شهراً كاملاً على نظام واحد في طعامهم، كما تعيش الأسرة في البيت الواحد.

* ومن تربية الفرد ينتقل القرآن إلى بناء الأسرة لأنها نواة المجتمع. فجعل رباط الأسرة في الزواج قائماً على الود والرحمة والسكن النفسي والعشرة بالمعروف، ومراعاة خصائص الرجل وخصائص المرأة، والوظيفة الملائمة لكل منهما ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

* ثم يأتي نظام الحكم الذي يقوم على الشورى، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

* وقرر القرآن العلاقات الدولية في الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم أو معاهديهم، وهي أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالم أثراً غيَّر وجه التاريخ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩

أخباره الغيبية

وهو ما يسمى الإعجاز الغيبي، ويشمل كل ما تضمنه القرآن الكريم من أخبار وحوادث ماضية وحاضرة في زمن الرسول ﷺ مما غاب عنه كإخبار الله سبحانه بمكائد اليهود والمنافقين كما يشمل هذا الوجه الإخبار عن الكائنات في المستقبل، وفيما يلي عرض موجز لهذه المراتب من الغيبيات.

* غيب الماضي: وهو ما ورد من الأخبار عن الأمم السابقة، ووجه دلالة ذلك على النبوة، أنه ﷺ لم يتعلم علماً ولم يقرأ كتاباً فدلَّ ذلك على أنه وحي الله، كما أنه ﷺ يذكر القصة الواحدة مراراً مختلفة بألفاظ متغايرة متشابهة في الفصاحة دلَّ ذلك على كونها من عند الله. وإخبار الله تعالى عن الأنبياء السابقين وأممهم وعن أقوام غيبتهم بطون الدهر ولم يكن مجرد ذكر لتاريخهم. بل كان استخراجاً للعظات والعبر في مواقفهم من الشرائع الإلهية، فهو يحدثنا عن قوم نوح وعاد وثمود ويحدثنا بقصة أهل الكهف وغيرهم. وهذا عين الإعجاز لأن النبي ﷺ أمي ونشأ بين قوم أميين ولم يتصل بالعلم والعلماء طوال الأربعين سنة من عمره ثم أتى دفعة واحدة بما لا عهد له به في سالف حياته من تاريخ وعلم وبلاغة وأبدى لنا مع التمحيص والتصحيح من أخبار القرون الأولى ما خفي وتشوه في قراطيس أهل العلم. فهل يعقل أن يكون مصدر علمه إلا من علاَّم الغيوب. قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾ [هود: ٤٩].

* غيب الحاضر: وغاية هذا الجانب الأساسية هو تأييد الدعوة والأخذ بيدها كما نزل في شأن اليهود والمنافقين فيما جرى في عصر الرسول ﷺ ثم نزل القرآن الكريم متضمناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى.

* غيب المستقبل: وهو ما ذكره القرآن الكريم من حوادث ستقع سواء كان ذلك بتحديد مدة الوقوع أو من غير تحديد مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم: ١، ٢]، ومثله آيات التحدي وإخباره عن أبي لهب بأنه سيموت على الكفر ويخلد في النار: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ .﴾ [المسد: ١]. إنك إن تأملت هذه الآيات، علمت أن أحداً من الناس لا يملك أن يطلق هذا الوعيد ويسجله في عنق الزمن وعلى صفحة الدهر. فما الذي يدري هذا الإنسان أن أبالهب سيثبت على كفره إلى الموت، وما هي ضمانات أنه لن يؤمن كما آمن الكثير ممن هم أشد منه كفراً وأقسى عناداً، بل ما الذي يطمئنه أن أبالهب لن ينهض به دافع التحدي عندما يسمع هذا الوعيد المسجل في حقه إلى أن يعلن إيمانه بالله ورسوله ﷺ على الملأ ليثبت بذلك أنه قد محا أسباب شقوته، وأن إخبار القرآن عنه إذاً ليس دقيقاً ولا صادقاً. ومن ذلك ما رأينا في قوله تعالى عن الوليد بن المغيرة: إن هذا الإخبار الغيبي ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ [المدثر: ١٧]، ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٦] ليس مما يتجرأ إنسان عليه؛ لأن الإنسان يفرض الاحتمالات المختلفة للزمن والأطوار المفاجئة العجيبة للإنسان وهو ليس مطلعاً على ما قد يأتي به الغد، ولكنه عظمة القرآن في إخباره الغيبي يصدر عمن بيده مصير الزمان والمكان وعمن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠

أثره وفاعليته في النفوس (شواهد تاريخية)

يقول الخطابي: «وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس، وهو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه. قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال جل شأنه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

ويقول الزركشي: «فمنها الروعة التي في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء منهم المقر والجاحد، ومنها أنه لم يزل غضًّا طرياً في أسماع السامعين، وعلى ألسنة القارئين».

ويكشف القاضي عياض أن هذه الروعة وتلك الهيبة كانت سبباً في إسلام بعض الكفار من العرب فيقول: «ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته، وقد أسلم جماعة عند سماع آياته منهم جبير بن مطعم فإنه سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور. قال: فلمَّا بلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥] إلى قوله: ﴿الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي.

وروي أن الوليد بن عتبة أتى النبي ﷺ فقال: اقرأ. فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]. فقال: أعد، فأعاد، فقال: والله إن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر.

إن هذا التأثير قد بلغ مبلغاً لم يعرف قبله ولا بعده لكلام قط. فهو الذي جعل زعماء المشركين يستخفون من الناس فيسترقون السمع إليه ليلاً؛ لأنه أخذ بلبّهم وأفئدتهم ورأوا آثاره فيمن اتبعه.

وأختم هذا الجانب بقصة ترتبط بموضوع البحث، وهي قصة الفضيل بن عياض، وقد أوردها الذهبي وابن كثير وغيرهما، قال الذهبي: عن الفضل بن موسى قال: كان الفضيل بن عياض شاطراً، يقطع الطرق بين أبيورد وسرخس. وكان سبب توبته: أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع صوتاً تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]. فلمَّا سمعها قال: بلىٰ يا رب، قد آن، فرجع، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم، حتى نصبح. فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا.

قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا، يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع. اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

ويرى بعضهم أن شدة خوفه طول حياته، تعود إلى أن تأثير هذه القضية في نفسه..

فهل كلام يحدث هذا التأثير إلا دلالة على عظمه وروعته؟.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١١

أثره وفاعليته في النفوس (نصوص الشرعية)

القرآن فيه شفاء لجميع الأدواء التي في الصدور، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

كما أن القرآن هداية ونور، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

وكما هو هداية ونور فهو أيضاً يبشِّر بعظيم الأجر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

والقرآن ذكرىٰ وموعظة؛ لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]. والقرآن فيه تبيان كل شيء، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]. وكل آياته وسوره تحمل في طياتها جميع معاني الهداية والتبشير والتسامح والعفو، وكل ما يكفل سير الحياة بدون خلل، فقد جعله الله شفاءً للصدور من أمراض الشبهات والشهوات، وشفاء للأبدان من الأسقام والعِلل، وجعله كذلك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فرقاناً بين الحلال والحرام، والحق والباطل، وبين طريق السعداء وطريق الأشقياء، فكتاب هكذا شأنه لا شك أنه يحتل أهمية عظيمة في نفوس أبناء الإسلام وكل من يعرفه ويقرأه، فهو البلسم الذي يجبر النفوس البشرية ويزرع الأمل في حياة سعيدة وكريمة.

وهذه الآيات تبين أن هذا الكتاب دواء وشفاء لكل داء في النفس البشرية ويهدي للتي هي أقوم بين عالم الضمير والشعور وبين ظاهر الإنسان وباطنه وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله وبين علاقات الناس بعضهم ببعض أفراداً وأزواجاً ومجتمعات وحكومات وشعوباً دولاً وأجناساً، وهذا الكتاب يقيم هذه العلاقات على الأُسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، فمنزله وقائله أعلم بمن خلق وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق لعالم الإنسان، ولم يترك الإنسان حائراً بل أوضح جميع الطرق وجميع العلاقات، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء: ٩، ١٠].

فهذا منهج القرآن في التبشير والعقبى الحسنة وكذلك في التخويف والتهديد بالعقبى السيئة لمن حاد عن الطريق القويم، لذا فهو يعتمد على الضمير الإنساني والرقابة الذاتية والعلاقة الربانية بين العبد وربه وهنا يكمن دور القرآن العظيم في كبح جماح النفس الشريرة والرجوع إلى الحق والصواب.

وشفاء القلوب إنما يكون في ذكر الله تعالى، واستحضار عظمته، وهيمنة سلطانه على العبد في سره وعلانيته، وقوله وفعله وحركته وسكونه وخير الذكر القرآن الكريم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر». رواه الترمذي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢

أثره وفاعليته في النفوس (حقائق علمية)

أما من الناحية العلمية فقد ثبت تأثير القرآن في الإنسان، يقول الدكتور/ محمد يوسف عبده: قام فريق عمل طبي بأبحاث قرآنية في «عيادات أكبر» في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا، وقدم هذا البحث في المؤتمر العالمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في استنبول ـ تركيا، وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسد وقياس هذا الأثر إن وجد، واستعملت أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عدد من المتطوعين الأصحَّاء أثناء استماعهم لتلاوة قرآنية. تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية وكذلك عند عدد من غير المسلمين بعدما تليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية وقد أُجري البحث على مرحلتين. وفيما يلي عرض لنتائج البحث:

أظهرت النتائج أن للقرآن أثراً إيجابياً مؤكداً لتهدئة التوتر وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعاً وكماً، وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية وما يصحب ذلكم من تغير في عدد ضربات القلب وكمية الدم الجاري في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجلد ودرجة حرارة الجلد، وفي المجموعة التي كانت تسمع وتفهم سواءً كانوا مسلمين أو غير مسلمين أو كانوا يتحدثون العربية أم غيرها كانت النتائج إيجابية بنسبة ٩٧٪، وفي مجموعات المرحلة الثانية ثبت أن لسماع تلاوة القرآن الكريم أثراً واضحاً على تهدئة التوتر ولو لم يفهم معناها إذ حقق إيجابية قدرها ٦٥٪.

وكل هذه التغيرات تدل على تغير في وظائف الجهاز العصبي التلقائي والذي بدوره يؤثر على أعضاء الجسم الأخرى، ووظائفها، ولذلك فإنه توجد احتمالات لا نهاية لها للتأثيرات الفسيولوجية التي يمكن أن يُحْدِثها سماع القرآن الكريم، ومن المعروف أن التوتر يؤدي إلى نقص المناعة في الجسم. واحتمال أن يكون ذلك عن طريق إفراز الكورتيزول أو غير ذلك من ردود الفعل بين الجهاز العصبي أو جهاز الغدد الصماء وجهاز المناعة.

ولذلك فإنه من المنطق افتراض أن الأثر القرآني المهدئ للتوتر يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة في الجسم والتي بدورها ستحسن من قابلية الجسم لمقاومة المرض أو الشفاء منه.

كماأن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها، وبغض النظر عن مفهوم معناها، لهاأثر فسيولوجي مهدئ للتوتر في الجسم البشري فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر.

ولذلك كله نستطيع أن نؤمن إيماناً لا يعتريه شك في حقيقة أثر القرآن الكريم تلاوة أو سماعاً أو حفظاً في الإنسان، وتهذيب سلوكه وشفاء أمراضه وسعادته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٣)

أثره وفاعليته في النفوس (دراسات أمنية)

تكاد تجمع الدراسات[١] التي أُجريت على العديد ممَّن حفظوا القرآن داخل السجن واستفادوا من العفو المشروط بالحفظ على أنهم لم يعد منهم أحد وأن نسبة العود (صفر).

وهذا وحده مؤشر قوي لدور حفظ القرآن الكريم في تهذيب سلوك النزلاء، وذلك خلال عشر سنوات من عام ١٤٠٨ إلى ١٤١٧هـ الفترة التي أجراهاأحد الباحثين على (١٨٥) عيِّنة.

واتفقت الدراسات على إثبات ذلك والتأكيد على أن حفظ القرآن الكريم أو بعض أجزائه قد أدَّى دوراً هامًّا في تقوية الرقابة الذاتية للمستفيدين من العفو وأضاف بُعداً جديداً في عملية تنمية سلوكهم وتعديله، حال دون عودتهم إلى الإجرام.

كما اثبتت هذه الدراسات أن هناك علاقة قوية بين تطبيق العفو المشروط

---

(١) من هذه الدراسات: دراسة في أثر العفو عن العقوبة لمن يحفظ كتاب الله، لعوض القحطاني. ودراسة للمستشار الشامخ في الموضوع نفسه، وكتاب: (أثر السجن في سلوك النزيل)، لـ: أ.د. عبدالله غانم. وأبحاث ندوة التعليم في المؤسسات الإصلاحية التي عُقِدَت في تونس ونَشَرَتها أكاديمية نايف للعلوم الأمنية في كتاب مستقل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بحفظ القرآن أو بعض أجزائه وحسن السلوك داخل السجن للمنتسبين لحلقات الحفظ وأن لهم دوراً كبيراً في العمل على الانضباط وحل مشاكل زملائهم داخل السجن.

وحيث ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن لحفظ القرآن أثراً كبيراً في تهذيب سلوك النزلاء سواء تمثل ذلك في الحد من العود إلى الجريمة أو في مستقبل النزيل أو سلوكه داخل السجن، فإن ذلك بالتأكيد سيعود على المجتمع إيجابياً من ناحية أمنه واستقراره بإضافة عضو صالح فيه مكان عضو فاسد، ويعد ذلك من أعظم المكاسب للمجتمع، لذا أوجه نداءً للمعنيين بضرورة العناية بحفظ كتاب الله بخاصة، والعمل على تذليل أي عائق من شأنه الحد من تفعيل دور برنامج الحفظ بعامة، وتتمثل العناية بالحفظ العناية بالذين استفادوا من العفو بتوفير عمل لهم فور خروجهم من السجن وتأمين رعاية مادية لهم ولأسرهم في الفترة قبل التحاقهم بالعمل، ومعاملتهم كالتائب بمحو سوابقه.

كما ينبغي العناية بهذا البرنامج المتميز وتطويره وتوفير المدرسين وتهيئة الأماكن المناسبة.

إن تميُّز المملكة بهذا الأسلوب سيساهم في تحويل السجون بإذن الله إلى مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ودور للإصلاح والتأهيل، وإن المجتمع كله ليُقَدِّر لإدارة السجون ما تتخذه من سياسات وخطوات وإجراءات في سبيل تعزيز هذا الأسلوب وتفعيل دوره.

ألا يدل ذلك على عظمة هذا القرآن وتأثيره وفاعليته في السلوك الاجتماعي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤

موقفه من الحقائق الكونية

يخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملاً في آية يتأولونها، بما يوافق هذه النظرية. ومنشأ الخطأ في هذا أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعاً لسنة التقدم، فلا تزال في نقص دائم. والذين يتكلفون في إيجاد معنى في القرآن الكريم لكل نظرية علمية، يسيئون للقرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون، وذلك لأن تلك النظريات معرَّضة للخطأ والتناقض والقرآن منزَّه عن التناقض والخطأ، ولهذا ينبغي أن ندرك الضوابط عندما نريد البحث في الآيات الكونية المذكورة في القرآن الكريم، ومن هذه الضوابط:

١ ـ إن القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية أنزله الله تعالى لهداية الناس وبيان أحكام الحياة ليقوموا بدورهم الموكل إليهم في عمارة الأرض، ولذا ترى سياق الآيات الكونية في القرآن في هذا الغرض.

٢ ـ استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية، لأنهما من خالق واحد ولابد أن يكون ذلك من المسلمات في أذهاننا، فأي مسألة من مسائل العلم، أو قاعدة من قواعده يثبت رسوخها تكون محققة لما حثّ عليه القرآن من تفكير سليم، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال، وتقدمت العلوم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكثرت مسائلها، ولم يتعارض شيء ثابت منها مع آية من آيات القرآن، وهذا وحده إعجاز. وقبل بيان الموقف الصحيح للمسلم عند تعارض القرآن مع العلوم الكونية ينبغي أن يعلم أن الأصل في العلوم الشرعية أنها نقلية، إذ تعتمد في مصدرها على الكتاب والسنة، والأصل في العلوم الكونية أنها عقلية، لأنها تعتمد على البحث والنظر... والعلوم الشرعية منها ما هو قطعي الثبوت والدلالة كنصوص القرآن الكريم والسُنَّة المتواترة التي لا تحتمل سوى معنى واحد، كأركان الإيمان وأصول العبادات والمحرمات في النكاح... وغيرها مما لا مجال للاجتهاد فيه، ومنها ما هو ظني الثبوت أو ظني الدلا لة، حيث يحتمل أكثر من معنى وهو عامة ما ورد في القرآن والسُنَّة، وهذا هو الذي كان مجالاً للاجتهاد. والعلوم الكونية كذلك، منها ما أصبح حقيقة علمية قطعية بالاستقرار والتجربة والحس ككثير من المكتشفات العلمية، وسائر ما نستخدمه ونشاهده الآن في الصناعات وأجهزة الاتصالات والمخترعات، ومنها ما زال نظريات قابلة للبحث، قد يترجح لدى العلماء فيها شيء ولكنهم لا يقطعون به... إذن فكل علم شرعي قطعي الثبوت والدلالة يجب التسليم به ولا مجال للاجتهاد فيه، وكذلك كل علم كوني قطعي كالحقائق العلمية يجب التسليم بها ولا مجال للجدال فيها، فإنها لم تعد موضع بحث ونظر... كما أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يتعارض قطعي شرعي مع قطعي كوني أو عقلي، فإن النقل الصحيح يكون موافقاً للعقل الصريح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٥

فإذا حدث التعارض؟!

من المناسب هنا ونحن في مجال العلوم الكونية أن نقف وقفة موجزة لبيان الموقف السليم للمسلم عند تعارض شيء مما يثبته العلم أو يقوله مع نصوص القرآن بخاصة أو العلوم الشرعية بعامة، وذلك على التفصيل الآتي:

أولاً: إذا تعارض قطعي شرعي مع نظرية علمية ظنية: أخذنا بالقطعي الشرعي لأنه اليقين الثابت وآمنا بأنه واقع لا ريب فيه وإن قال العلم: إنه غير واقع. فإن العلم لم يصل إلى اكتشاف كل شيء، ومن ذلك ما كان شائعاً لدى علماء الفلك قديماً من أن الشمس ثابتة والأرض هي التي تتحرك، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]. فثبت لدينا أن الشمس لها حركة، وهذا يتفق مع ما أثبته العلم بعد ذلك من أن الشمس لها حركة.

ثانياً: إذا تعارض ظني شرعي مع نظرية علمية ظنية: فإننا نبقى مع الظني الشرعي، وننسب النظرية الظنية إلى أهلها دون تكذيب، فإما أن يثبت مع الأيام زيفها وإما أن تصبح حقيقة علمية ثابتة، ومن الخطأ أن نحرص على تأويل النصوص الشرعية بما يتفق مع كل نظرية جديدة لأن ذلك هزيمة نفسية وإجلال للعلوم الكونية، ويؤدي بنا هذا إلى التأويل المستمر للنصوص الشرعية والتكلف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في ذلك، وأن النظريات تتجدد وتتبدل وينقض بعضها بعضاً بمرور الأيام. كما أنه من الخطأ كذلك أن ننكر كل نظرية لتعارضها مع الظني الشرعي؛ لأنه قد يثبت صدق هذه النظرية، فعندئذٍ يكون التراجع مخجلاً، إذن فالموقف السليم أن نظل مع الظني الشرعي وننسب النظريات الظنية إلى أهلها دون تكذيب.

ثالثاً: إذا تعارض ظني شرعي مع حقيقة علمية قطعية: فإننا نؤمن بالحقيقة العلمية، ونؤول في هذه الحالة الظني الشرعي بما يوافق الحقيقة العلمية القاطعة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ [نوح: ١٩]. حيث يفهم من الآية أن الأرض مبسوطة، والمعلوم أن الأرض كروية، ولم يكن هناك تعارض بين كون الأرض مبسوطة وكونها كروية، لأن الأرض مبسوطة متسعة مسطحة في مرأى العين ولا يراها الإنسان أمام نظره إلا كذلك... وهكذا.

أما موقف المسلم من النظريات والحقائق الكونية التي لا تتصل بالدين: فإن الجانب الأكبر من الحياة في العلوم الكونية تلك النظريات والحقائق التي يأتي بها العلم مما لا يتصل بالشرع ولم يرد لها ذكر في نصوصه، وما بين يوم وآخر يطالعنا العلم بجديد في ميادينه المختلفة إبداعاً وابتكاراً... فهذا كله نستفيده ونسلم به. ومن شأن الأمة الإسلامية التي دعاها دينها إلى النظر في الكون والاستفادة من طاقاته أن تكون سبَّاقة إليه، وقد كانت أمَّتنا الإسلامية لها القيادة العلمية مقرونة بالقيادة الدينية والسياسية إبان قمة مجدها وأوج عظمتها، وقد نبغ علماء مسلمون كثيرون في وقت كان العالم الغربي مازال يعيش فيما يسمى بالعصور الوسطى عصور جهالته وغيِّه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٦

آياته العلمية

وهذا الجانب ضمنتُه مجموعة من آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن ظواهر علمية كونية كشفها العلم الحديث في عصرنا الحاضر، وقد بلغت الآيات التي تحدثت عن العلم الكوني ما يقارب (٩٠٠) آية، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

أخبر الله العظيم في هذه الآية أنه سيكشف للناس خفايا هذا الوجود ودقائق هذا الإنسان، وأن هذا الكشف فيه دليل صادق أن القرآن حق، إذ ما سيعرفه الإنسان من حقائق علمية سيطابق ما في القرآن، وهذا لا يكون إلا إذا كان منزل القرآن هو الله العالم بأسرار السموات والأرض، وما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة. ولئن كانت الآية نبوءة كاملة في حد ذاتها تحققت بما كشفه الإنسان حتى الآن، فإن ما يرد من أمثلة ستكون نماذج لذلك، ودلالة من أعظم الدلالات على عظمته وإعجازه.

لقد تحدث القرآن بلغة واضحة عن كثير من القضايا الكونية، مما لم يكن معروفاً قطعاً في أي مكان من العالم فضلاً عن أن يكون معروفاً في جزيرة العرب حيث الأُمَّة الأُميَّة التي كانت معارفها عن الكون محدودة وسطحية، فكان حديث المحيط بسر كل شيء، الخبير بكل ما خلق. وكلما تقدم الزمان أكثر ظهرت دقة القرآن أكثر، فيصبح الإنسان أمام الحقيقة التي لا شكَّ فيها: أن خالق الكون ومنزل القرآن واحد، الله رب العالمين، وهذه بعض النماذج:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦].

يقول العلم اليوم إن الحليب قبل أن يصبح في الثدي، يمر على عمليتي تصفية، الأولى: تصفيته من الفضلات وذلك بعد الهضم ونزول السائل الحليبي إلى الأمعاء إذ تقوم الزغيبات المعوية بامتصاص المواد الغذائية طارحة بها في الدم، ومبقية الفضلات في الأمعاء حيث تطرح خارج الجسم، وأما المواد الممتصة التي طرحت في الدم فإن قسماً منها يغذي جسم الكائن الحي، وقسماً آخر تُصَفِّيه الغدد اللبنية في الدم وترسله إلى الضرع حليباً خالصاً سائغاً للشاربين، إذاً: أثبت العلم أن الحليب يصفَّى أولاً من الفضلات ثم من الدم، وقال تعالى: ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ والفرث: هو الفضلات.

هذه الحقيقة التي يذكرها القرآن هنا عن خروج اللبن من بين فرث ودم لم تكن معروفة لبشر، وما كان في ذلك العهد ليتصورها فضلاً عن أن يقررها بهذه الدقة العلمية الكاملة.

* قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

منذ اكتشاف الطبقات العليا في الجو، استطاع العلماء أن يدركوا ظاهرة كونية تنتج عن نقص أوكسجين الهواء في طبقات الجو العُليا إذ يشعر الصاعد في هذا العلو ببعض الصعوبة في التنفس ويحس بالضيق، والآية القرآنية صرحت بأن مَن يرتفع في السماء يشعر بعوارض الضيق، ولذلك يستعمل الطيارون الذين يصعدون إلى الارتفاعات العالية أجهزة التنفس الصناعية حتى يتفادوا هذه الحالة.

يقول تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، ويقول: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. سبحانه وتعالى وهل أصدق منه قيلاً؟!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٧

حروفه المقطعة

وبسط هذا القول وبيانه أن هذا القرآن حين أُنزل على محمد ﷺ معجزة يظهر بها على قومه، لم يكتف بالتحدي ثم ينزوي يرجف فؤاده خشية أن يأتي أحد بمثل ما جاء به، بل برز إليهم مكرراً تحديه عدة مرات، ومستثيراً للهِمَم وموقظاً لها، ومسفِّهاً لأحلامهم، وساخراً، وناقضاً لمعتقداتهم، ومبطلاً لمبادئهم وعاداتهم، مما يرفع درجة التحدي إلى أعلاها.

وكرر عليهما التحدي بأساليب مختلفة ودعاهم إلى أن يجتمعوا مع مَن شاؤوا حتى الجن، ويخبر سلفاً ـ لزيادة الإثارة والتحدي ـ أنهم لن يستطيعوا مع ذلك الإتيان بمثله.

ونجد التحدي في أوائل السور فهو حين يقول: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ يقول بعدها: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]. أو يقول: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان: ٢]. وحين يقول: ﴿طسٓۚ﴾. يقول بعدها: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١﴾ [النمل: ١]. أو يقول: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [القصص: ٢].

وهكذا في الآيات الأُخَر التالية للأحرف المقطعة نجدها تتحدث عن القرآن الكريم وكأنما في هذه إشارة إلى أن القرآن الكريم الذي تحداكم الله

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبحانه وتعالى به إنما هو مؤلف من هذه الأحرف التي تقرأون بها، وبها تكتبون وهي الألف واللام والميم، والطاء والسين... إلخ، وهي حروف تعقلونها وتعرفونها وتبنون كلامكم منها، فليست مادة هذا القرآن المعجزة ببعيدة عن متناولكم، وليست بشيء لا تعرفونه، فدونكم إياها إن استطعتم الإتيان بمثله.

ولا شك أن في إلقائك لخصمك بقوسك وسهمك متحدياً له أن يفعل مثل ما فعلت إثارة وتحدياً عظيماً.

ومما يشهد لهذا الرأي ويقويه أن هذه الأحرف قد استهلت بها السور المكية إلا سورتي البقرة وآل عمران، حتى جعلوا ذلك من ضوابط السور المكية، ومعلوم أن التحدي بالقرآن وُجِّه أصلاً للخصوم المعاندين وهم أهل مكة فَصِلَةُ هذه الأحرف بالإعجاز والتحدي هنا ظاهرة.

وعلى هذا القول فإن هذه الفواتح أسماء لمسمياتها وهي الحروف المذكورة بمعنى أن (ألف) اسم لهذا الحرف (أ) ولام اسم لهذا الحرف (ل) وميم اسم لهذا الحرف (م) وهكذا، والمراد بذلك ما ذكرناه وهو التحدي والإعجاز.

وقد ذهب إلى هذا القول أئمة وعلماء كبار منهم ابن تيمية رحمه الله تعالى الذي قال عن هذه الأحرف: «وأما الحروف التي ينطبق بها مفردة مثل: ألف لام ميم ونحو ذلك فهذه في الحقيقة أسماء الحروف».

وممن قال ذلك من كبار الأئمة والمفسرين وعلماء اللغة: المبرد والفراء والخليل وقطرب والزجاج وأبوالليث السمرقندي والزمخشري والبيضاوي والرازي والراغب والحافظ المزي وابن عاشور ورشيد رضا... وغيرهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٨

عجائب أعداده

أنموذج عجيب وسرٌّ يكشف عظمة كتاب الله تعالى في شمولية التوافق والتناسق الدقيق، فكلما تبحث في موضوع وترعى تكرار لفظ ستجد عجباً وأي عجب! تماثل عددي أو تكرار رقمي أو توازن يبعث في القلب خشية ويثير في النفس دوافع الإيمان فيها، سأسوق لك أمثلة ذلك، وهي لا تحتاج إلى أي شرح أو تعليق:

* تكرر ذكر ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ في القرآن الكريم (١١٥) مرة، وتكرر ذكر ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ (١١٥) مرة.

* تساوى عدد ذكر (النفع) في القرآن مع عدد ذكر (الفساد) حيث ورد (النفع) (٥٠) مرة، وورد (الفساد) (٥٠) مرة.

* وورد ذكر لفظ ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ (٢٦) مرة، وورد ذكر ﴿ٱلْعِقَابِ﴾ (٢٦) مرة.

وورد ذكر ﴿ٱلْفَحِشَةَ﴾ (٢٤) مرة، كما ورد لفظ ﴿ٱلْغَضَبُ﴾ (٢٤) مرة.

* (الضيق) تكررت (١٣) مرة، كما أن (الطمأنينة) تكررت (١٣) مرة.

* ورد ذكر ﴿ٱلنَّاسِ﴾ (٣٦٨) مرة، وورد ذكر ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ (٣٦٨) مرة.

هذه مجرد أمثلة، وهناك الكثير منها، والأعجب من ذلك أيضاً أن:

* يذكر ﴿إِبْلِيسَ﴾ (١١) مرة، وتذكر (الاستعاذة) منه (١١) مرة.

* يذكر ﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾ (١٧) مرة، ويذكر ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ (١٧) مرة كأنها توحي بأن الذي ضل عن هداية الله لا حياة فيه.

وفيما تساوى فيتكرر ذكره:

- اللسان (٢٥) مرة مع الموعظة (٢٥) مرة.
- السحر (٦٠) مرة مع الفتن (٦٠) مرة.
- الزكاة (٣٢) مرة مع البركة والبركات (٣٢) مرة.
- الرجل (٢٤) مرة وكذلك ورد ذكر المرأة (٢٤) مرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- يذكر ﴿مُحَمَّدٌ﴾ (٤) مرات كما ذكرت (الشريعة) (٤) مرات.

ويتملكك العجب وتأخذك الدهشة عندما ترى:

أن لفظ ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ ذكرت (٥) مرات.

وأن لفظ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ تكرر (٣٦٥) مرة (عدد أيام السنة).

بل لفظ الجمع لليوم والمثنى تكرر (٣٠) مرة عدد أيام الشهر.

ولفظ (شهر) تكرر (١٢) مرة عدد أشهر السنة.

ثم نقف مع وقفة أخيرة مع ذلك التناسق العجيب في قصة أصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾.

لماذا يقول: ﴿وَٱزْدَادُوا۟﴾ فقط تسع سنين؟

جاء العلماء فحسبوا ووجدوا أن السنة الشمسية (٣٦٥,٣٢٢٩) لو ضربناها في (٣٠٠) سنة فسنحصل على (١٠٩٥٦٩) يوماً، جاؤوا إلى السنة القمرية فوجدوها (٣٥٤,٣٦٧) يوماً فلو ضربناها في (٣٠٠) سنجد (١٠٦٣١٠) أيام فلو نقّصت عدد أيام السنة الهجرية من السنة الميلادية ستجد أن الفرق تسع سنوات بالضبط من السنة الهجرية، فلو حسبت (٣٠٠) ستكون بالميلادي ولوحسبت بالهجري ستزداد تسعاً بالضبط.

فكأن القرآن يقول: ماذا تريدها ميلادي أو هجري؟ (ميلادي ٣٠٠ سنة) (هجري زيدت تسع ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾).

ومن عجائب القرآن التي التفت إليها بعض العلماء ما جاء في ذكر البر والبحر يقول تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ ويقول: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ إلى آخره.

وردت كلمة ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ في القرآن (٣٢) مرة، وذكر الله تعالى كلمة ﴿ٱلْبَرِّ﴾ في (١٢) مرة، وذكر كلمة (اليابس) التي تقابل البحر مرة واحدة فالمجموع (١٣) مرة لو جمعنا وعملنا حسبة بسيطة فستجد مجموع ذكر (البر والبحر) (٤٥) مرة، ولو عملنا معادلة نحسب كم مرة ذُكر البحر وكم مرة ذُكر البر؟ فالبحر ٣٢ ÷ ٥٤×١٠٠=١١١,١٧٪ هذه نسبة ذكر البحر في القرآن الكريم، أما البر ١٣ ÷ ٤٥×١٠٠=٢٨,٨٨٨ بالضبط، وهذه نسبة البَر إلى البحر على الكرة الأرضية هذه بالضبط بلا زيادة ولا نقصان، ألا يدل ذلك على سر عظيم من أسرار عظمة القرآن؟.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٩)

تناسق آياته وتناسب سوره

لقد عُرِفَ سرُّ ترتيب القرآن قديماً بعلم المناسبات، وما عُرِفَ منه فإنما هو خاص في ترتيب المصحف، أما أسرار ترتيب النزول فلا يُعْلَم أحد ـ بحسب علمي ـ تعرَّض له في كتاب، لا في القديم ولا في الحديث إلا قليلاً في كتب الأصول.

وبالرغم من كثرة كتب التفسير فإن المؤلَفات في سر ترتيب القرآن أو علم المناسبة قليلة جدًّا، ومنها: كتاب البقاعي «نظم الدرر» طبع في (٢٢) مجلداً، وكتاب «البرهان» لأبي جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان صاحب البحر المحيط، وكتاب السيوطي «تناسق الدرر».

وقد نبَّه العلماء قديماً على إهمال علم المناسبة، ولفتوا الأنظار إلى أنه يحتوي على لطائف القرآن، بل أن الفخر الرازي قال: «مَن تأمَّل في لطائف نظم السور وبديع ترتيبها عَلِمَ أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعلَّ الذين قالوا: أنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين مُعْرِضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسباب». اهـ.

وقد أعرب الإمام ابن العربي عن يأسه بقوله: «... فلمَّا لم نجد له

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حملة - يعني تناسق الآيات - ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددنا إليه». وقد جاهد الشيخ أبوبكر النيسابوري في نشر هذا العلم وسخط على علماء بغداد على عدم علمهم بالمناسبات.

ومن العجيب أن إهمال هذا الجانب من الدراسات القرآنية المهمة لا زال قائماً على الرغم من كثرة دور النشر التي تعنى بنشر الكتب المتعلقة بالتفسير.

وسأضرب مثالاً واحداً ومَن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى الكتب المشار إليها أعلاه: جاء في سورة البقرة في معرض التحدي للقرآن خطاباً لمنكِري أن القرآن من عند الله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [٢٣]، ثم جاء في سورة يونس: ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ [٣٨]، وكذلك جاء في سورة هود، وذلك لأنه لمَّا زاد في السور المتحدىٰ بها إلى عشر سور. زاد المدعوين فقال: ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ ولما كان التحدي في سورة البقرة بسورة واحدة قلَّ عدد المدعوين، وانحصر في الشهداء وحدهم.

وقد مضى الترتيب مسايراً للملابسات حتى سورة الإسراء، إذْ وقع التحدي صراحة على جميع القرآن، فوجَّه الكلام إلى الإنس والجن جميعاً، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [٨٨].

وبهذا ندرك تدرج التحدي من سورة، إلى عشر سور، إلى القرآن كله، وملائمة القرآن بين القدر المتحدى به، ومقدار المدعوين إلى معارضته، في ترتيب دقيق محكم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٠

أحرفه السبعة

ثبت عن رسول الله ﷺ في الصحيح، بل تواتر عنه أن هذا القرآن أُنزِل على سبعة أحرف، ويجمع العلماء على أنه ليس مقصوراً أن يُقرأ الحرف الواحد على سبعة أوجه إذْ لا يوجد ذلك إلا في كلمات معدودة، كما يجمع العلماء على أن الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ليس هي القراءات السبع، فالقراء السبعة المشهورين لم يكونوا قد خُلِقوا أو وُلِدوا آنذاك، ومع ذلك فقد اختلف العلماء كثيراً في هذه الأحرف ولكن الاختلاف غالبه اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضاد، وقد كتبتُ بحثاً موجزاً في ذلك وعزمت على نشره، ولكنه صَغُرَ في عيني عندما وجدت كتيباً بحجم صغير يقع في نحو مائتين صفحة في إحدى المكتبات لفضيلة الدكتور/ عبدالعزيز عبدالفتاح القارئ الأستاذ في الجامعة الإسلامية، وهذا الكتاب ينبغي لكل مسلم أن يطَّلع عليه، بل يجب على المتخصصين في ذلك، وقد خلص إلى أن الأحرف السبعة هي: وجوه متعددة متغايرة منزلة من أوجه القراءة يمكنك أن تقرأ بأي منها فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً، والعدد هنا مراد.. إلى آخر ما ذكر وشرح.. وما أُريد بيانه في هذه الوقفة هو الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف أوجزها لك بالآتي:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١ - تيسير أمر القراءة وتعلم القرآن على الأمة وبخاصة أنها كانت أمية متنوعة القبائل واللهجات.

٢ - إن هذه الأحرف من خصائص الأمة حيث كانت الكتب السماوية السابقة تنزل على وجه واحد.

٣ - إن لهذه الأحرف فائدة عظمىٰ في تنوُّع المعاني وزيادتها، وفي ذلك جانب عجيب مدهش من جوانب إعجاز القرآن.

٤ - ومن أعظم فوائد هذه الأحرف أنها حفظت لغة العرب من الضياع والاندثار، إذ إنها اشتملت على خلاصة ما في لغات القبائل العربية من فصيح الألفاظ والتراكيب والأساليب واللهجات فكان بذلك مرجعاً قطعياً لا يتطرق إليه شك لهذه اللغة المباركة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢١

شهادات العلماء غير المسلمين

يقول (جيمي متشيز): «لعلَّ القرآن هو أكثر الكتب التي تقرأ في العالم، وهو ـ بكل تأكيد ـ أيسرها حفظاً، وأشدَّها أثراً في الحياة اليومية لمن يؤمن به، فليس طويلاً كالعهد القديم.. ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه، وتزداد إيماناً وسمواً، ومن الملاحظ أن القرآن يتسم بطابع عملي متعلق بالمعاملات بين الناس، وهذا التوفيق بين عبادة الإله الواحد، وبين التعاليم العملية جعل القرآن كتاباً فريداً، أو وحدة متماسكة».

وقال (هرشفيلد): وليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي.

وقال المؤرخ الإنجليزي الشهير (ويلزان): «إن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أنّىٰ سارت هي الديانة الإسلامية، وإذا أراد إنسان أن يعرف شيئاً من هذا فليقرأ القرآن وما فيه، من نظرات علمية، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع، فهو كتاب علمي، ديني، اجتماعي، تهذيبي خلقي، تاريخي، وأكثر أنظمته، وقوانينه، تستعمل حتى وقتنا الحالي، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة».

هذا نزر يسير من أقوال الغرب في القرآن الكريم، منهم مَن يراه الجدار

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصلب بينه وبين تنصير المسلمين فأعلن فشله، واعترف بهزيمته، ومنهم مَن كشف لقومه السر في قوة المسلمين فدعاهم إلى فصلهم عن القرآن؛ حتى تسهل السيطرة عليهم، ومنهم مَن اعترف بإنصاف بفضل القرآن الكريم، ومكانته السامية ومنزلته العظمىٰ.

وقد تكلم أيضاً بعض المستشرقين المصنفين وأشادوا بالقرآن وبروعته، فهذا المستشرق (هاملتون جب) يقول: فالذي يمنح القرآن قوة على تحريك قلوب الناس وتشكيل حياتهم، ليس هو ـ محتواه ـ من مبادئ ونذر، وإنما هو سياقه اللفظي إذ يتكلم كأسفار النبوءات في التوراة بلغة الشعر وإن لم يخضع لقيود الشعر في وزن وقافية، وإذا كان المرء يعني بالشعر ما يكاد يشبه السحر في نظم الألفاظ حتى تحدث صدى ويتردد صداها في العقل وتفتح منظورات طويلة للبصيرة، وتخلق في الروح سموًّا يحلِّق بها بمنأى عن عالم المادة وينوِّر جنباتها بفيض فجائي من الشعاع، وذلك بالضبط هو ما يعنيه لدى المسلم، والدليل على أن هذا ليس محض تصوّر ليس هي التجربة الشخصية فحسب، بل إن مبدأ الإعجاز يعتمد على خصائصه الفنية والجمالية بقدر ما يعتمد على محتواه الفني الغزير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٢

معجزة اجتماعية

نقل الزرقاني في «مناهل العرفان» عن مدير مجلة الأزهر أن القرآن وضع أصول علم الاجتماع قبل العلم بأكثر من ألف سنة نقتطف منه ما يلي:

لمَّا جاء الإسلام وشرع أهله في إحياء موات العلم ونقل كتبه القيِّمة إلى لغتهم، نظروا في كل شيء مستهدين بالأصول الأولية للقرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، فأدركوا على وجه عام أن لكل شيء في هذا الوجود نظاماً يجري عليه كما فعل بعض المؤرخين، وبخاصة ابن خلدون، ولكن المعارف التي كانت قد جمعت عن الأمم لم تكن تكفي لتكوين علم خاص بها، وتلت هذا الدور نهضة أوربا، فادخر الله هذا السبق للفيلسوف الفرنسي الكبير (أوجست كومت ١٧٩٨ ـ ١٨٥٣) واضع أصول علم الفلسفة الوضعية...

ثم ذكر من قواعد علم الاجتماع أن الإنسان لا يستطيع أن يؤثر في المجتمع لمجرد رأي يبدو له في إصلاحه، ولكن ذلك لا يكون إلا إذا فهم الكافة سداد هذا الرأي وعملوا به، عند ذلك يوجد في المجتمع ميل جديد للتحول عن الجهة التي يراد تحوله منها إلى الوجهة التي يريد أن يكون عليها، وهذا مصداق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فمعنى الآية أن الأمة التي تريد أن يحول الله عنها حالاً لا ترضاه لمجتمعها يجب عليها أن تغير من نفسها أولاً، فإن فعلت حوَّل الله عنها ما تكره، ووجَّه إليها من نِعَمِهِ ما تحب. وهذا وحده معجزة قرآنية، فكَشْفُ هذا السر يجعلنا ندرك سر تنبيه القرآن على وجوب الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر...

فالذي يتأمل في سبق القرآن الكريم في وضع أصول العلم الاجتماعي ويكون من غير أهل هذا الدين يُدْهَش كل الدهش ولا يكاد يصدق عينيه.. وتقع مسئولية تجلية الأصول العلمية الاجتماعية اليوم على علماء الاجتماع المسلمين ليُوَضِّحوا سر نهضة المسلمين التي حصلت لهم زعامة العلم والحكمة في العالم في سنين معدودة، فإنهم لو كانوا بدءوا حياتهم العلمية على النحو الذي تبدؤها به كل أمة ما استطاعوا أن يتقدموا على الأمم التي سبقتهم في هذا السبيل بقرون كثيرة، ولكنهم لبدئهم إياها مستنيرين بهذه الأصول القرآنية العالية، وعلى المسلمين اليوم أن يدركوا هذا الأمر الجلل وأن يجعلوا كتابهم نبراساً لهم في مجالات حياتهم المختلفة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٣

تقريره للتفاوت وتحقيقه للمساواة

يُقَرِّر القرآن واقع التفاوت بين الناس في مواهبهم وقدراتهم وما يترتب على ذلك من تفاوتهم جهاداً وبذلاً وخلقاً وقدرةً على أسباب المعيشة ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ [الزخرف: ٣٢].

إن الحياة مفتقرة إلى هذا التفاوت لتظل متجددة تستزيد بالمَلَكَات المتعددة؛ ولكن التفاوت الذي أقرَّه الإسلام لا يسمح بوجود نظام طبقي من سادة وعبيد، وأشراف وخدم، وهو يَرُدُّ على هؤلاء الذين يتصورون في خيالهم مجتمعاً يزعمون أن الناس فيه لا يتفاوتون في الحقوق والأرزاق، فيصطدمون مع الفطرة والواقع.

فمن الجور أن نفرض أن الناس جميعاً سواء فنقضي على القادرين المستعدين للصعود، أو نسوي بهم العاجزين الحاقدين، وليس مقبولاً لدىٰ العقول السليمة أن نسوي بين الطالب الذكي والطالب الغبي، وبين الطالب المُجِد والطالب المهمل.

إن القرآن الكريم يعلن حقيقة المساواة بين الرجل والمرأة أمام كل مَن يتشدَّق كدُعاة تحرير المرأة، وذلك بتجلية المفهوم الصحيح للمساواة وأنها لا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعني تساوي اثنين في عمل واحد فحسب، فذلك لا يمكن أن ينطبق على الرجال مع بعضهم، ولكن المساواة تعني كذلك أن تتساوى الحقوق مع الواجبات في العمل المتفاوت، وهذا هو ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وليست هذه الدرجة دون مقابل يتحمله الرجل كما أنها ليست أمراً سرِّياً لا يُعْرَف! لقد وضَّح الله تعالى هذه الدرجة وبيَّن سبب اختصاص الرجل بها! بمعنى أنها حق للرجل مقابل واجب عليه.. تدبَّر قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٣٤]، فالدرجة إذن هي القوامة ووجودها أمر يهم حياة الرجل كما يهم حياة المرأة، وخصائص الرجل هي المؤهلة للقوامة، ومما توجبه أن يقوم بالنفقة على المرأة...

هل رأيت مساواة وعدلاً بهذا الكمال جاء في تشريع غير تشريع القرآن؟!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٤

خصائصه

لازلنا نتفيأ ظلال عظمة القرآن، وهذه الجملة نخصصها لخصائص القرآن، وخصائص القرآن تؤكد عظمته وتزيدنا تعظيماً له، إنه يتميَّز بخصائص كثيرة، منها:

* **أنه محفوظ من التحريف والضياع، والزيادة والنقصان**، وذلك لأن الله تعالى تولى حفظه بنفسه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. ولم يتول الله تعالى حفظ الكتب السابقة بل وكلها لأصحابها كما قال تعالى: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤].

* **أنه آخر الكتب المنزلة والمهيمن عليها**، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

والمعنى أنه شامل لما فيه وزائد عليه وشاهد وحاكم عليها، فما وافقه مما فيها فهو حق وما خالفه فهو باطل، وهو حافظ لما فيها من أصول الشرائع وعال عليها وغالب وناسخ لغير المحكم فيها فهو أكمل الكتب السماوية وخاتمها.

* إعجازه والتحدي له: قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد رأينا وجوهاً من دلائل هذا الإعجاز.

* أن بكل قراءة حرف منه حسنة: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ ۝١﴾ حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

* شفاعته لأهله يوم القيامة، فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» [رواه مسلم].

* تيسيره وسهولته، فحفظه سهل وقراءته سهلة يسيرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٥

نزولـه مفرّقـاً

نزل القرآن منجماً (مفرّقاً) على نبينا ﷺ حسب الوقائع والأحداث وحاجات الناس، وقد نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام، وكانت مدة تنزيل القرآن الكريم هذه ثلاثاً وعشرين سنة تقريباً ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وقد أفاض العلماء في بيان حِكَم نزوله مفرّقاً وأسراره وفوائده، أجملها العلامة الزرقاني في أربع حِكَمٍ رئيسة وعرض لكل حِكْمة عدداً من الوجوه وهذه الحِكَم إجمالاً:

١ ـ تثبيت فؤاد النبي ﷺ.

٢ ـ التدرُّج في تربية هذه الأُمَّة الناشئة علماً وعملاً.

٣ ـ مسايرة الحوادث والطوارئ.

٤ ـ إثبات مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده. .

وبيان ذلك أن القرآن الكريم تقرأه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري فيه هذا التآلف المعجز فيه كله مِن ألفه إلى يائه. . فننقاد تلقائياً لطرح هذا السؤال:

كيف اتسق هذا التآلف المعجز والتناسق المدهش وهو لم ينزل جملة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واحدة؟ بل تنزَّل متفرِّقاً في أكثر من عشرين عاماً . . ؟!

والجواب يلوّح لنا بسر جديد من أسرار الإعجاز، وبخاصة عندما نعلم أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية أو آيات قال: «ضموها في مكان كذا من سورة كذا» وهو بشر لا يعلم ما في مستقبل الأيام ويُمْضِي كل عمره والقرآن يكمل ويتم وينتظم ويتآخى ويأتلف ويلتئم ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]. وتتضح هذه العظمة ويستبين سر هذا الإعجاز إذا علمنا أن محاولة مثل هذا الاتساق والانسجام لا يمكن أن يأتي لا في كلام الرسول ﷺ ولا كلام غيره من البُلَغَاء. والخلق جميعاً لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يأتوا بكتاب بمثل هذا الإحكام والترابط والنسج، والتآلف في بداياته ونهاياته . .

وهنا يتقرر أن القرآن الكريم ينطق نزوله مفرقاً بأنه كلام الله وحده، وتلك حكمة جليلة الشأن تدل الخلق على الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان: ٦].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٦)

الحافظ المحفوظ

مهما طغت المصطلحات الأجنبية المختلفة التي تنتشر في أرجاء المعمورة ويتفاخر البعض بها ويقلدها البعض الآخر تقليداً أعمىٰ، ومع أن لذلك تأثيره في هوية أبناء دول الإسلام والعرب إلا أن القرآن يقف طوداً شامخاً حافظاً للهوية الإسلامية من حيث اللغة وحافظاً لها من حيث الفكر! وإن لمدارس تحفيظ القرآن الكريم بنين وبنات وحلقات التحفيظ في المساجد ومدارس البنات في هذه البلاد الطاهرة لخير عميم لا يُحَدّ وأجرٌ عظيم للقائمين على ذلك، فتعليم الصبيان وحفظهم للقرآن أمر أكَّد فضله واستحبابه أئمة الهدى، فهذا البخاري يترجم في صحيحه: (باب تعليم الصبيان للقرآن) ومعلوم أن فقهه رحمه الله يؤخذ من تراجمه، وقد أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم» يعني المفصل، وقد ورد أن الرسول ﷺ يرخص في إمامة الصبي المميز إذا كان أكثر القوم قرآناً كما كان لعمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه، وأخرج أبوداود بإسناد صحيح عن الأشعث بن قيس أنه قدَّم غلاماً فعابوا عليه، فقال: ما قدمته؛ ولكن قدمه القرآن. وحفظ القرآن فرض كفاية على الأمة. قاله السيوطي وصرح به الجرجاني في الشافي والعبادي والإمام الجويني

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وغيرهم. ومن فضل الله تعالى على هذه الأمة أن عدد التواتر في نقله حفظاً وتلاوة وخطًّا لم ينقطع أبداً ولن ينقطع، ذلك أن الله تعالى تكفَّل بحفظه، فهيَّأ له الحفاظ في الصدور وفي المصاحف وهيَّأ له الخطاطين فأبدعوا في رسمه وشكله ونقطه وفواصله وتقسيمه فنًّا وجمالاً ومحافظة وكمالاً، ثم هيَّأ له الله تعالى المطابع والأوراق فخرج في أفخر تجليد وأجود صورة، واعتنى أهل القرآن في مجمعات طباعته بغاية الاتقان، ولن تجد كتاباً خالياً من الأخطاء غير القرآن الكريم إعجازاً وتحدياً، ومَن زار مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف في المدينة المنورة لأدرك معجزة قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وكما أنه محفوظ في الوقت ذاته فهو حافظ. مَن حفظ القرآنَ حفظَهُ القرآنُ ورفعه. ففي الصحيح: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»، وصح أيضاً: «.. إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقْرَأ فيه سورة البقرة».. وعنه ﷺ: «يؤتىٰ يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٧)

تكافله الاجتماعي

يتبادر إلى الأذهان عندما يذكر التكافل الاجتماعي أنه مساعدات مادية تُعطىٰ للأفراد والمحتاجين على وجه الإحسان والصدقة والبِر، ولكن مفهوم التكافل الذي جاء به القرآن يعني مدلولات أوسع من هذا المدلول المحدود في المساعدات المالية التي تسمى في الاصطلاح الحديث: الضمان الاجتماعي، أو التأمين الاجتماعي.. ويؤكد ذلك جانباً من عظمة هذا الكتاب المعجز.. إنه يبدأ ذلك المفهوم بتكافل الفرد مع ذاته، فقد عني القرآن بتربية الفرد التي تؤدي في نهايتها إلى سلوك اجتماعي رشيد ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠]، إنها مسؤولية المسلم عن نفسه أمام الله، ويقرر القرآن هذه المسؤولية في اصطلاح النفس بتحملها تَبِعَة ما تكسبه ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨]. ومِن تكافل الفرد مع ذاته ينتقل القرآن إلى التكافل الأُسري؛ لأنها نواة المجتمع، والتنكُّر لقيمة الأسرة في بناء المجتمع منطق معكوس لا يؤبه له. فلقد أثبتت محاولات النظم المادية التي تهوّن من شأن الأسرة باعتبار أنها تنمي أحاسيس الأثرة وحب التملُّك كالنظام الشيوعي ـ أثبتت فشلها ـ فالأسرة هي المحضن الطبيعي لتنمية الصفات الاجتماعية.. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وينتقل الإسلام في تكافله من دائرة الأسرة إلى دائرة أوسع قليلاً هي دائرة القرابة والرحم والجيرة، ثم يأتي دور التعاون المشترك في المصلحة الجماعية؛ حيث جعل القرآن هذه العلاقات قائمة على قدم وساق بالعدل الكامل في الحقوق والواجبات، فكل فرد من المجتمع الإسلامي يوجهه القرآن أن يكون على ثغرة من ثغور الإسلام يقوم على حمايته ببذل الطاقات المختلفة لصالح الأمة، ولما أباح ملكية الفرد بالطرق المشروعة قرنها بالنظرة الجماعية، وفرض الزكاة التي تعني أن الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات يشاركون أصحاب رؤوس الأموال بنسبة تعدل نصف الأرباح السنوية المحتملة غالباً حيث يتراوح ما يجب فيها بين العشر وربع العشر.. ثم تكافل الدولة مع أبنائها: تعول المرضى، والزمنى وتسد ديون مَن لا مال له، وتوفر المرافق، والتعليم والصحة..، وصيانة الحقوق وحماية الأخلاق وتحقيق الأمن وحراسة المجتمع وإقامة شرع الله..

إن التكافل في المفهوم القرآني يتجاوز حدود المال وتأمين العيش إلى حماية المجتمع من الرذيلة والفساد، وهذا النوع من خصائص الإسلام التي تجلى عظمة القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

بهذه النظرة القرآنية الواسعة لمفهوم التكافل الاجتماعي يكون المجتمع مسؤولاً مسؤولية مشتركة عن أي فرد من أفراده، فكلهم راعٍ ومسؤول عن رعيته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٨

«لو تدبّر الناس هذه السورة لوسعتهم»

رحم الله الإمام الشافعي وأئمة السلف قبله وبعده.. ما أعظم فقههم لواقعهم وفهمهم لكتابهم، وأغزر علمهم بدينهم.. فالسورة التي يعنيها هذا الإمام.. هي سورة ﴿العصر﴾... إحدى قصار السور.

هذه السورة ذات الآيات الثلاث يتمثَّل فيها منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام فهي تُبْرِز معالم التصوُّر الإيماني بحقيقته الكبيرة والشاملة في أوضح صورة وأدقّها. إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار وتصف الأمة الإسلامية حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة، وهذا الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله! لنتأمل سوياً:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

أقسم الله تعالى في هذه السورة بالعصر لأهميته، فهو الزمن الذي تقع فيه الأحداث، ويَنسِب إليه بعض الناس ما يقع لهم من المصائب وهي بسبب أعمالهم لا بسببه، وجواب القسم: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ بسبب أعماله المخالفة للمنهج وبعده عنه، تسبب له الشقاء في الدنيا، والعذاب في الآخرة،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

وقد استثنى الله الذين آمنوا من ذلك الخسران، فالإيمان هو أساس العمل فلا يُقْبَل بدونه، وجمعوا مع الإيمان الأعمال الصالحة التي تُرْضِي الله وتُصْلِح نفوسهم وتُهَذِّب أخلاقهم، ولم يكتفوا بصلاح أنفسهم، فأوصىٰ بعضهم بعضاً بالخير وتعاونوا عليه وصبروا على ما يصيبهم بسببه من إيذاء الناس لهم وإعراضهم عن الحق، وتواصوا بالصبر على طاعة الله وعن معصيته وما يصيبهم من المصائب والمِحَن، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

فقد اشتملت هذه السورة على المنهج الإسلامي الذي يجب أن يسير عليه الإنسان، ولذلك قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو تدبَّر الناس هذه السورة لوسعتهم». أي لكفتهم.

وقد كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة ليُذَكِّر كل واحد صاحبه بما يجب أن يكون عليه من تصرفاته وأفعاله، فكأنهما يتعاهدان على الإيمان والعمل الصالح ويتعاهدان على التواصي بالحق والصبر، فهما روح نهضة الدنيا وسعادة أحيائها، وبدونهما يضطرب كل شيء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٩

حقوق القرآن الكريم

وفي ختام هذه الجولات في فيء القرآن ونحن نودعها لا يعني ذلك أن نودع القرآن، بل يعني العكس تماماً، فهذه الجولة في حقوق القرآن تذكرنا بذلك وتكشف عظمة القرآن ولسان حالها يخاطب من يودعون القرآن كما يودعون شهر رمضان فمن حقوق القرآن:

* قراءته وحفظه: قال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه». وقال أيضاً: «يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وليحرص المسلم على حفظه إن تمكن من ذلك، وحفظ ما تيسر منه، قال تعالى واصفاً القرآن: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. فوصف الحافظ بأنهم من أهل العلم، وحفظه سُنَّة أئمة الدين، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

كما ينبغي ترديد ما حفظ من القرآن في قيامه وقعوده وذهابه وإيابه، فإن ذلك أعظم لأجره وأكثر لحسناته، قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين وذكر أحدهما: رجل علَّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار».

وينبغي للحافظ مراجعته وتعاهد قراءته حتى لا ينفلت منه، قال ﷺ: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلُّتاً من الإبل في عقالها».

* العمل به: قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]. وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه أول من يعمل بالقرآن، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت للسائل: «ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: فإن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن».

* تعلمه وتعليمه: عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه».

فينبغي أن يحرص المسلم على تعلمه وإتقان قراءته، ويجتهد في ذلك، فمن غير اللائق لمسلم له سنوات طويلة وهو يدرس ويتعلم، ثم إذا قرأ القرآن فإذا به لا يقيم حروفه وكلماته، وليس حاله كحال من يعذر لضعف تعليمه. وإن من وسائل تعلمه وإتقانه: قراءته على أحد المقرئين، وكثرة الاستماع إليه، واستشعار أنه كلام الخالق جل وعلا، وغير ذلك.

* تدبره وتفهمه: قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩].

فالأولى أن يقرأ على تمهل وتفهم، فإن القرآن كتاب هداية، وكيف يهتدي به من لا يفهمه، وإن أشكل عليه شيء رجع لتفسيره، وليجمع همَّته عند القراءة حتى يستحضر ذلك بقلبه ويتأمل ما فيه من آيات التهديد والوعيد والرجاء والرحمة وأحوال الماضين وغير ذلك.

* الإنصات عند سماعه: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

الآية تدل بعمومها على مشروعية الاستماع للقرآن إذا تلي، والإنصات، وهو السكوت عند الاستماع.

* التأدب معه: فلا يمس القرآن إلا طاهر، ولا يقرؤه مَن عليه حدث أكبر حتى يغتسل، ولا يُهان في حمله ووضعه، وإذا ناوله شخصاً فبيده اليمنى، ولا يرميه، ويحافظ عليه ولا يمزقه، ولا يكتب عليه ما لا حاجة له به، وإذا تمزَّق فلا يجوز رميه، بل يحرقه ويدفنه في موضع طيب. ويجعله أعلى من غيره، ولا يتكئ عليه ولا يجلس على شيء فيه مصحف كالحقيبة، كل هذا احتراماً لكتاب الله تعالى والتزاماً للأدب معه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الكتاب

الموضوع — الصفحة

المقدمة ٣
١ ـ سُنَّة الله تعالى في المعجزات ٥
٢ ـ تميُّزه عن باقي المعجزات ٧
٣ ـ فضله على العرب ٩
٤ ـ لغته وأسلوبه ونظمه ١١
٥ ـ مقارنة بلاغية ١٣
٦ ـ إقناعه وإمتاعه في آنٍ ١٥
٧ ـ تصوره وتشخيصه الحي ١٧
٨ ـ سمو تشريعه وشموله ١٩
٩ ـ أخباره الغيبية ٢١
١٠ ـ أثره وفاعليته في النفوس (شواهد تاريخية) ٢٣
١١ ـ أثره وفاعليته في النفوس (نصوص شرعية) ٢٥
١٢ ـ أثره وفاعليته في النفوس (حقائق علمية) ٢٧
١٣ ـ أثره وفاعليته في النفوس (دراسات أمنية) ٢٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤ ـ موقفه من الحقائق الكونية ٣١
١٥ ـ فإذا حدث التعارض؟! ٣٣
١٦ ـ آياته العلمية ٣٥
١٧ ـ حروفه المقطعة ٣٧
١٨ ـ عجائب أعداده ٣٩
١٩ ـ تناسق آياته وتناسب سوره ٤١
٢٠ ـ أحرفه السبعة ٤٣
٢١ ـ شهادات العلماء غير المسلمين ٤٥
٢٢ ـ معجزة اجتماعية ٤٧
٢٣ ـ تقريره للتفاوت وتحقيقه للمساواة ٤٩
٢٤ ـ خصائصه ٥١
٢٥ ـ نزوله مفرَّقاً ٥٣
٢٦ ـ الحافظ المحفوظ ٥٥
٢٧ ـ تكافله الاجتماعي ٥٧
٢٨ ـ «لو تدبَّر الناس هذه السورة لوسعتهم» ٥٩
٢٩ ـ حقوقه ٦١
٣٠ ـ الفهرس ٦٣

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب